كتاب
أوهام الانفتاح

MAZ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى ورحمةً للعالمين، وأرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ليكون رحمةً للعالمين، وأمرنا باتباع صراطه المستقيم.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الكتاب بين يديك، يتناول قضية من القضايا التي تمس الواقع المعاصر في هذا الزمان. وهي قضية "العقلية المنفتحة" التي بدأت تتسلل إلى نفوس بعض الأفراد تحت مسميات الحرية والانفتاح، وهو ما يعارض الفطرة السليمة والتعاليم السماوية التي شرعها الله لنا في الإسلام.

قد يتساءل البعض عن أسباب انتشار هذه العقلية وكيفية تأثيرها على المجتمع، ونحن في هذا الكتاب نسعى جاهدين إلى تسليط الضوء على تلك الأفكار المضللة، وبيان موقف الإسلام منها بوضوح، والبحث في طرق العلاج الممكنة لهذا الفكر المنحرف.

إن الإسلام جاء ليعزز القيم الإنسانية التي تحفظ كرامة الإنسان وتصون حقوقه، وتعزز من بنية المجتمع الأخلاقية. وهو ليس دينًا منغلقًا، بل هو دين يقوم على الوسطية والاعتدال، ويُعلمنا كيفية التعايش مع العالم من حولنا بما يتوافق مع مبادئنا وقيمنا.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كل من يقرأه، وأن يوفقنا جميعًا إلى ما فيه الخير والصلاح، إنه سميع مجيب

مقدمة الكتاب

في عالمٍ يزدحم بالمصطلحات الرنانة والشعارات البراقة، أصبح ادعاء الانفتاح والتفكير الحر جزءًا من الواجهة الاجتماعية، التي يُخفي خلفها كثيرون قناعاتٍ عتيقة وسلوكياتٍ متناقضة. ترى البعض يتحدثون عن التحرر والوعي، لكنهم في الحقيقة غارقون في تبرير غرائزهم ورغباتهم بعبارات لا تمت للعقلانية بصلة، وكأنهم يظنون أن التظاهر بالفكر المتقدم يعفيهم من مسؤولية الفهم الحقيقي.

هذا الكتاب ليس نقدًا عابرًا، بل هو رحلة عميقة نحو كشف تناقضات هذه العقلية التي تُقيد نفسها بسلاسل غير مرئية، لكنها تدّعي الطيران. سنتحدث عن أولئك الذين يرتدون أقنعة الانفتاح، فقط لتبرير سلوكيات سطحية، وكيف يواجهون الحياة بعقلية تفتقر إلى الأسس الفكرية السليمة.

سنبحث في الجذور الثقافية والاجتماعية لهذه الظاهرة، ونحلل كيف تُستخدم الشعارات الزائفة كأداة للتهدئة المؤقتة للغرائز، دون وعي حقيقي بالمفاهيم التي يُفترض أن تمثلها. وسنقدم رؤى تساعد القارئ على التمييز بين الوعي الحقيقي والادعاء المزيف، مع دعوة صادقة إلى التفكير النقدي والبحث عن الحقيقة بعيدًا عن أي تصنع أو خداع للنفس.

هذا الكتاب هو محاولة لتعرية الأفكار الخاطئة وإعادة تشكيلها، ولإيقاظ وعي حقيقي يدفع الإنسان نحو فهم ذاته قبل كل شيء

الفصل الأول: تعريف العقلية المنغلقة المتظاهرة بالانفتاح

في بداية رحلتنا لفهم هذا النوع من التفكير، يجب أن نتوقف أولًا عند تعريف واضح للعقلية المنغلقة التي تدّعي الانفتاح. هذه العقلية ليست مجرد حالة من الجهل أو نقص المعرفة؛ بل هي سلوك متعمد يتجلى في محاولة إظهار التحرر والوعي أمام الآخرين، بينما في العمق، تكون مقيدة بأفكار تقليدية أو مصالح ذاتية خفية.

ملامح العقلية المنغلقة المتظاهرة بالانفتاح

1. التناقض بين القول والفعل:

الشخص ذو العقلية المنغلقة المتظاهرة بالانفتاح عادة ما يروج لفكرة ما، لكنه يتصرف بطريقة تعاكسها تمامًا. على سبيل المثال، قد يتحدث عن احترام حرية الآخرين، لكنه في الواقع يتدخل في حياتهم الشخصية، أو يحكم عليهم من منطلقات سطحية.

2. استخدام الشعارات دون وعي حقيقي:

كثيرون يرددون شعارات مثل "أنا شخص منفتح"، أو "لكل شخص الحق في اختيار طريقه"، لكن هذه الكلمات تكون مجرد غلاف يخفي وراءه عقلًا مليئًا بالتحيزات والتصورات المسبقة.

3. الانجراف خلف الغرائز بمسميات زائفة:

من أبرز سمات هذه العقلية أنها تبرر أفعالها أو اختياراتها بالانفتاح، بينما تكون مدفوعة بغرائزها فقط. على سبيل المثال، قد يبرر شخص قراراته الأنانية أو سلوكياته غير الأخلاقية بأنها "حرية شخصية"، بينما لا يملك أدنى فكرة عن القيم التي تجعل الحرية مسؤولية وليست فوضى.

كيف تتشكل هذه العقلية؟

1. التربية الثقافية والاجتماعية:

في كثير من الأحيان، تنشأ هذه العقلية بسبب البيئة الاجتماعية التي تشجع على التظاهر بالفضائل بدلًا من تعلمها بصدق. المجتمع قد يمجد من يظهر بمظهر المتحرر، بغض النظر عن كونه يفهم مبادئ الانفتاح أم لا.

2. الخوف من الرفض الاجتماعي:

الأشخاص الذين يدعون الانفتاح غالبًا ما يكونون مدفوعين برغبتهم في الانتماء إلى مجتمع معين. لذلك، يتبنون أفكارًا تبدو عصرية دون فحصها أو إدراك أبعادها.

3. الإعلام وتأثيره السطحي:

الإعلام اليوم يلعب دورًا كبيرًا في تشكيل هذه العقلية، حيث يُروج لمظاهر معينة من الانفتاح دون التعمق في جوهرها. الأشخاص يتأثرون بما يرونه على الشاشات، ويقلدونه دون وعي.

الأمثلة الواقعية على هذه الظاهرة

شخص يدعي أنه يؤمن بالمساواة بين الجنسين، لكنه يتصرف بطريقة تقلل من قيمة النساء أو يضعهن في أدوار نمطية.

فرد يروج للتسامح واحترام الثقافات المختلفة، لكنه يطلق أحكامًا سريعة بناءً على المظهر أو اللهجة.

آخر يعلن أنه متحرر من القيود الدينية أو الأخلاقية، لكنه في الحقيقة يستخدم هذا التحرر كذريعة لتبرير سلوكياته غير المسؤولة.

الادعاء بالانفتاح دون فهم حقيقي يقود إلى ازدواجية خطيرة؛ إذ يصبح الشخص أسيرًا لصورة يريد تقديمها بدلًا من بناء ذات حقيقية قائمة على الوعي والمعرفة. والأسوأ أن هذه الظاهرة لا تؤثر فقط على الفرد، بل تمتد لتخلق مجتمعًا سطحيًا مليئًا بالتصنع والازدواجية.

في هذا الفصل، كشفنا الستار عن أساسيات هذه العقلية وملامحها. وفي الفصول القادمة، سنغوص أعمق في الجذور الثقافية والاجتماعية التي تغذيها، وكيف يمكن تجاوز هذا التناقض لبناء وعي حقيقي.

الفصل الثاني: جذور المشكلة بين الثقافة والغريزة من منظور إسلامي

إن العقلية المنغلقة المتظاهرة بالانفتاح ليست مشكلة حديثة، بل ظاهرة لها جذور عميقة في النفس البشرية، تتأرجح بين تأثيرات الثقافة السطحية والانصياع للغرائز دون ضابط. لفهم هذه الظاهرة، يجب أن ننظر إليها من خلال منظور إسلامي يضع توازنًا بين الروح والعقل، وبين الغريزة والفكر.

الجذور الثقافية للمشكلة

1. اتباع الهوى بغير علم:

يقول الله تعالى: "وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ" (ص: 26).

حين يُصبح الهوى هو الدافع الأساسي وراء السلوكيات، يتحول الإنسان إلى عبد لرغباته، ويتبنى شعارات الانفتاح كغطاء لهذه العبودية. الثقافة التي تشجع على الانغماس في الشهوات دون تمييز أو ضوابط تغذي هذه العقلية، فتجعل الإنسان يختار ما يُرضي نزواته بدلًا من الالتزام بالحق.

2. التأثر بالثقافات المادية:

في زمن العولمة، أصبحت القيم الغربية التي تركز على الفردية والحرية المطلقة تؤثر بشكل كبير على المجتمعات الإسلامية. هذه القيم تروج لفكرة التحرر من كل قيد، حتى وإن كان هذا القيد هو الضمير أو الشريعة. والنتيجة أن كثيرًا من المسلمين يتبنون ممارسات أو أفكارًا تتناقض مع الإسلام، ولكنهم يبررونها بالانفتاح أو التقدم.

3. غياب التربية الواعية:

التربية التي تركز على المظاهر أكثر من الجوهر تُنتج أشخاصًا يفتقرون إلى الفهم العميق لدينهم وهويتهم. على سبيل المثال، قد يُعلَّم الأبناء أن التصرف بطريقة معينة يظهرهم بمظهر المتحضرين، دون أن يكون لديهم وعي بماهية القيم التي يقوم عليها هذا التصرف.

الغريزة والتبريرات الزائفة

1. الانسياق وراء الشهوات:

الإسلام يعترف بوجود الغرائز في الإنسان، ولكنه وضع لها حدودًا وضوابط تحقق التوازن. يقول النبي ﷺ: "حُفَّت الجنةُ بالمكارهِ وحُفَّت النارُ بالشهواتِ" (رواه مسلم).

المشكلة تبدأ حين يبرر الإنسان اتباع شهواته باسم الحرية والانفتاح، متناسيًا أن الحرية الحقيقية هي في التحكم بالنفس وليس في إرضاء كل نزوة.

2. التبرير بالحرية الشخصية:

كثيرون يدّعون أن أفعالهم لا تضر أحدًا، لذا فهي مقبولة. لكن الإسلام يعلّمنا أن الأعمال لا تُقاس فقط بنتائجها الظاهرة، بل بما تتركه من أثر على الروح والمجتمع. يقول الله تعالى: "وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا" (الفجر: 20)، مشيرًا إلى أن حب الدنيا والغرائز قد يعمي الإنسان عن الحق.

النظرة الإسلامية للتوازن بين العقل والغريزة

1. الغريزة نعمة ولكن بضوابط:

الإسلام لا ينكر وجود الغرائز، بل يوجهها لتكون وسيلة للبناء لا للهدم. على سبيل المثال، الزواج هو الوسيلة الشرعية لإشباع غريزة الجنس، وهو في الوقت نفسه وسيلة لبناء مجتمع قوي ومتماسك.

2. العقل أداة التمييز:

يقول الله تعالى: "إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" (الأنفال: 22).

العقل هو الذي يميز بين الخير والشر، وهو الذي يوجه الإنسان لاختيار ما يرضي الله ويحقق مصلحته الحقيقية، وليس مجرد إشباع رغباته.

3. التوازن هو جوهر الإسلام:

الإسلام يدعو إلى التوازن في كل شيء، حتى في الأمور المباحة. يقول النبي ﷺ: "إِنَّ لِجَسَدِكَ عليكَ حَقًّا" (رواه البخاري). فلا إفراط ولا تفريط؛ فالحرية لا تعني الفوضى، والانفتاح لا يعني التخلي عن المبادئ.

الحل من منظور إسلامي

1. العودة إلى القرآن والسنة:

الإسلام يضع لنا خارطة طريق متكاملة لتحقيق التوازن بين الروح والغريزة. العودة إلى القرآن والسنة تجعل الإنسان يدرك حقيقة نفسه، ويفهم أن الحرية الحقيقية تكمن في الالتزام بشرع الله.

2. التربية على الوعي والإدراك:

لا يكفي أن نحفظ الآيات والأحاديث، بل يجب أن نفهمها ونعلمها للأجيال بطريقة تجعلهم يدركون الحكمة منها.

3. تعزيز الفكر النقدي:

الإسلام يحثنا على التفكر والتأمل، وعدم اتباع أي فكرة دون تمحيص. يقول الله تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد: 24).

خاتمة الفصل

إن الجذور الثقافية والغريزية لهذه المشكلة تتطلب منا وقفة صادقة مع أنفسنا. الإسلام يعلّمنا أن الانفتاح الحقيقي لا يكون إلا بالعقلانية والالتزام، وأن الحرية لا تتحقق إلا بضبط النفس وتوجيهها نحو الخير. وفي الفصول القادمة، سنبحث كيف يمكن للأفراد والمجتمعات أن يتجاوزوا هذه التناقضات ليصلوا إلى وعي حقيقي يعكس قيم الإسلام

الفصل الثالث: الدياثة تحت غطاء العقلية المنفتحة

الدياثة، كظاهرة تُعارض الفطرة السليمة والقيم الإسلامية، أصبحت تُبرر في عصرنا الحديث بمسمى "العقلية المنفتحة". تحت هذا الشعار، يُحاول البعض شرعنة سلوكيات تخالف الشريعة الإسلامية والأخلاق الفطرية، متجاهلين أن الإسلام يضع ضوابط لحفظ العرض وصيانة الشرف، ويدعو إلى الحياء كفضيلة إنسانية عظيمة.

معنى الدياثة في الإسلام

عرّف النبي ﷺ الديّوث بأنه: "الذي يرضى السوء في أهله" (رواه أحمد). الديوث هو الشخص الذي يقبل الفساد الأخلاقي في أهل بيته، سواء بالتغاضي عنه أو تشجيعه أو تبريره. وهذا السلوك يُعد من الكبائر التي تُهدد سلامة المجتمع وأخلاقه.

في الحديث الشريف: "ثلاثةٌ قد حرَّم الله عليهم الجنة: مُدمنُ الخمر، والعاقُّ، والديوثُ الذي يُقرُّ في أهلِه الخبثَ" (رواه النسائي).

تبرير الدياثة بالعقلية المنفتحة

في ظل موجة التغريب والتأثر بالثقافات الأخرى، يحاول بعض الأفراد تقديم الدياثة كنوع من الحرية الشخصية والانفتاح الفكري. يتجلى ذلك في:

1. التخلي عن الغيرة بدعوى "الثقة":

يبرر البعض تساهلهم في التعامل مع الأعراض بزعم أن الغيرة دليل على "التخلف" أو "عدم الثقة".

يُصورون الغيرة الفطرية التي أقرها الإسلام بأنها قيد يُعيق الحرية، متجاهلين أن الغيرة هي حماية وصيانة للأعراض، وليست شكًا أو تملكًا.

2. تشجيع التبرج والسفور باسم الحرية:

يروج البعض لفكرة أن المرأة حرة في تصرفاتها، حتى لو كان ذلك يخالف تعاليم الإسلام.

يتناسى هؤلاء أن الإسلام يُكرّم المرأة ويضع لها ضوابط تحميها من الاستغلال، مثل الحجاب والستر.

3. تساهل الرجل في ضبط بيته:

تحت شعار "احترام خيارات الآخرين"، قد يترك الرجل أهله يتصرفون بحرية مطلقة، حتى لو أدى ذلك إلى انتهاك القيم الدينية والأخلاقية.

يُبرر هذا التساهل بأنه دليل على "الانفتاح"، لكنه في الحقيقة تخاذل عن مسؤوليته كقائد في أسرته.

النظرة الإسلامية للغيرة وصيانة الأعراض

1. الغيرة فضيلة وليست عيبًا: